العيد والخليج

تنفّست الجداول ، سالت الاكمام أغنية من الالوان
وللابعاد بوح الماء وهو يتيه ...
ينسج زرقة الشطآن
تبرّجت السفوح البكر ،
نفّرت الحجارة عقمها الابدي بالاغصان
وساجٍ أنت كالاكفان !!
وجارحة هي الاصداء باقية تدير بذهني الاقداح
لمن عبروا
ترنّحت المعابر بالخطى ، والشمس والاثمار ...
سواي ... وضجت الافراح
سواك ... وضجت الاحزان
وساجٍ أنت كالاكفان !!

* * *

ومرّ العيد بعد العيد مغتربا على الابواب
ومسفوحا على الطرقات ...
ولم تسمع خطاه البيض لم تسمع
وفي الساحات
بريق الضفة الاخرى على الاثواب
ومجمرة من التاريخ فوق توهج الاطفال
وتجهش حولي الاسوار ، والمذياع ، والاقفال :
(صوت السهارى مروا عليّه عصرية العيد)
فتنحب في دمي الاكواب ،
وتثلج حولك النيران ،
وساجٍ أنت كالاكفان !!

* * *

لبقيا من نثار الريش فوق تمزّق الامواج
لنورسك الذي ما عاد يمسح وحشة الآفاق
سأحمل واحة الاشواق ،
وتبرح قلبي السفن الشتائيه (*)
وفيك توقف الماضي الذي (نضجت به الاعناق)
وما سقطت بكف الريح ، لم تبرح أثيريه
تخلد فجأة الاشراق .
أجل ، ها ، تلك ، قد زفّت
هي العقبان ...
وساجٍ أنت كالبركان

محمد الهجري

(*) في الشتاء تبحر الحملة الاخرى لصيد اللؤلؤ في الخليج العربي وتسمى (الرده) .

وامية بعض الشيء . ولهذا اذا سمعت نقاشا فيه شيء من الصعوبة فمن الافضل لك ان تلزمي الصمت . تذكري ايضا انك لم تنالي الا حظا بخسا من التربية ، وان اباك ليس الا رئيس ورشة بنائين ، وتذكري اخيرا انك عملت سنتين كاملتين فتاة جرس (1).

واذا كان ريكو متفاهما معها ، فهو تفاهم الانسان مع الشيء :

ـ ان لي الحق ، كل الحق، في الحصول على تفهمك . وليس لك انت الحق في ذلك .

بامكاني ان اتفهم وبامكاني الا افعل . وعليك انت ان تفعلي ما تؤمرين به ، ان تطيعي من غير ان تتنفسي . تفاهمنا ؟

وبديهي ان فاوستا متفاهمة لان الجواب الوحيد الذي يصدر عنها هو ان تمد يدها نحو ازرار سرواله وتمسك بـ « ملك الملوك » بفخر « كالقائد عندما يمسك عصا القيادة » .

ان فاوستا تلخص في شخصها كل اضطهاد الرجل للمرأة وقمعه لها على مر القرون . تلخصه راضية لا متمردة ، طائعة لا نافرة . فاوستا ليست امرأة ، بل جارية ، امة في معبد « ملك الملوك » ، له نذرت حياتها وفي عبادته منتهى سعادتها .

وعند فاوستا تنتهي مسيرة ريكو التصعيدية . انفتحت الرواية عليه وهو يحاول الهرب من عالمها الخانق المتقلص في ابعاده الى وبر عانة ، وها هوذا الستار ينسدل على اخر فصولها وريكو يعود ادراجه اليها ، عودة مسفتّل الى مسفتّلة ، بل عودة حمار الى بقرة .

ومشهد العودة الختامي بالغ الدلالة . ريكو يستقل المصعد ، وقد شهر راية الاستسلام البيضاء ، الى الطابق السابع حيث تقيم فاوستا . فريديريكوركس يلح عليه ان يفك ازرار سرواله ويحرره حتى يرى الجميع جماله ، « جمال العالم » . يعترض ريكو اولا ثم يصدع للامر . يقف المصعد فيغادره ، بينما يتقدمه « هو » . يضغط على زر الجرس ، وتفتح فاوستا الباب . ولنترك لريكو الكلمة الاخيرة : « تبدو فاوستا على العتبة بقميص البيت . تنظر اليّ ، ثم تخفض نظرها فترا « ه » ، وتمد يدها ، من غير ان تنبس ببنت شفة ،وتمسك بـ « ـه » ، كما يمسك المرء بزمام الحمار ليحثه على السير . ثم انها توليني ظهرها وهي تسحبه « هو » وراءها ، وتسحبني انا معه « هو » . وعندما تدخل فاوستا الى البيت ، يلحق بها « هو » واتبعهما كليهما » .

هل انتصرت فاوستا ؟ هذا امر لا مراء فيه . ولكنه انتصار مسفتّلة على مسفتّل ، او كما قلنا ، انتصار بقرة على حمار . وهو الانتصار الوحيد الممكن لانسان متشيىء على انسان متشيىء في مجتمع بورجوازي مغلق لم يترك للانسان من بعد غير بعد الشيء .

حلب

جورج طرابيشي

---

(1) : اي مومس .